

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٤٥ : خ ١ - آيات من سورة البقرة ٣ ( الخطاب الإلهي ) ، خ ٢ -  
البعوضة والحوت.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٥-١٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لننهي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير .

### شمولية الإسلام :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ انطلاقاً من أنه لا شيء يعلو على فهم كتاب الله ، ومن أن بعض الصحابة الكرام قال : " من قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا " أي عظم في أعيننا ، وفي مطلع سورة البقرة ربنا سبحانه وتعالى بين أصناف البشر ثلاثة : المؤمنون والكافر والمنافقون ، وبعد أن عرض هذه النماذج خاطب الناس جميعاً . ماذا يعني قوله تعالى : يا أيها الناس ؟ أي أن الناس جميعاً مدعوون إلى رحمة الله ، أي أن الناس جميعاً مطلوبون لإكرام الله، أي أن الناس جميعاً خلقو الهدف واحد ، أي أن الناس جميعاً خلقو للجنة ، أي أن الناس جميعاً خلقو لكي يرحمهم الله عز وجل . في الأرض جهة تقبل هؤلاء الناس دون هؤلاء ، وترجو هذه الطبقة دون هذه الطبقة ، وهذا الأصل دون هذا الأصل ، وهذا العرق دون هذا العرق ، هذا في الأرض ، أما في السماء فيا أيها الناس إن أكرمكم عند الله أنقاكم ، الناس سواسية كأسنان المشط ، ليس بين الله عز وجل وبين عباده قرابة إلا طاعتكم له ، هذا مما توحّيه كلمة يا أيها الناس ، أي أنت أيها الإنسان مدمت إنساناً ، مadam فيك قلب ينبض فأنت مدعو إلى الله ، مدعو إلى مائنته ، مدعو إلى عطائه ، مدعو إلى إكرامه ، مدعو إلى رحمته ، مدعو إلى هداه، لا نقل : أنا كذا ، أنا لست أهلاً لهذا ، يا أيها الناس أنت من الناس ! هذه عمومية الإسلام ، هذه شمولية الإسلام ، هذه أعممية الإسلام ، الناس جميعاً مدعوون إلى الله عز وجل ، هم عبيده وهو ربهم .

يا أيها الناس ؟ ماذا طلب منا خالق الناس ؟ هذا الخالق العظيم ، وهذا الرب الرحيم ، وهذا المسير الحكيم ، ما هو الطلب الأول ؟ ما هو الطلب الجامع المانع ؟ ما هو الطلب الشامل ؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

هذا هو الدين ، هل عرفت الرب ؟ هل عرفتم أن لكم ربًا عظيماً ؟ هو الذي خلق ، وهو الذي أدمكم بكل ما تحتاجونه ، أدمكم بالرعاية المادية والمعنوية والتربوية والإرشادية ، أنعم علينا بنعمة الإيجاد ، وأنعم علينا بنعمة الإمداد ، وأنعم علينا بنعمة الإرشاد .

في هذا الأمر نقطتان أساسيتان : أن يعرف الإنسان الله ، جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله : " علمي من غرائب العلم ؟ - هذه الطرف التي إذا تعلمتها وتحدثت بها في الناس ارتفع شأنى ، علمي إياها - قال : وماذا صنعت في أصل العلم ؟ - ما قيمة غرائب العلم ؟ ما قيمة هذه المعلومات ؟ ما قيمة هذه الطرف ؟ ما قيمة هذه المحفوظات ؟ - قال : وما أصل العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ "

الله عز وجل له أسماء كثيرة ، إن الله تسعه وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة ، هل تعلم أيها الأخ المسلم أن أقرب الأسماء إليك هو الرب ، من التربية ، هو الذي خلق ، يعرف كل حاجاتك ، هيأ لك كل متطلباتك ، أدمك بكل ضرورياتك ، هذا هو الرب ، خلقك ، أدمك ، نظر إلى اتجاهاتك ، عالجك ، ضيق عليك ، وسع عليك ، إذا لا بد من معرفة الرب ، قال : هل عرفت الرب ؟ أصل الدين معرفة الله عز وجل ، ومعرفة الله كما قلت إليها الأخوة من خلال الكون ، ومن خلال الفطرة ، ومن خلال العقل ، ومن خلال القرآن ، والطريق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، أي شيء في الكون يدل عليه .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

من كلمة عبدوا ربكم لا بد من فهم شيئاً : لا بد من معرفة الرب ، ولا بد من معرفة الأمر الذي نعبد به الرب ، إذاً أن تعرف ماذا أمر وماذا نهى ، ما حكم الله في هذا ؟ ما حكم الله في هذا الزواج ؟ في هذا الطلاق ؟ في هذه الشركة ؟ في هذه العلاقة ؟ في هذه التجارة ؟ في هذه النزهة ؟ في هذه السهرة ؟ في هذا اللقاء ؟ هذا هو المقصود أن تعرف الله عز وجل ، وأن تعرف أمره ، بالكون تعرفه وبالقرآن تعده ، أمره في القرآن وقصصيه في السنة .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

هذا الأمر الموجه إلى الناس كافة ، إلى البشر جميعاً ، أسودهم وأبيضهم ، أصفرهم وأحمرهم ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

علة العبادة :

لماذا تعبده ؟ ما علة العبادة ؟

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

هل في الأرض كلها جهة تستحق أن تقدم حياتك من أجلها ؟ هل في الأرض كلها جهة مهما علا شأنها هي مؤهلة أو تستأهل أن تقدم شبابك من أجلها ؟ هل في الأرض كلها جهة تستحق أن تقدم مالك من أجلها ؟ عمرك ؟ شبابك ؟ مالك ؟ طاقتك ؟ حياتك ؟ ذكاءك ؟ خبراتك ؟ ليس إلا جهة واحدة هي الخالق .

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

مسكين هذا الإنسان الذي وضع إمكاناته كلها في خدمة إنسان ابتغاء وجهه ومن أجله ما أضيع عمره وما أشدّ خسارته .

﴿قُلْ هُلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

يجب أن نعرف الخالق ، ويجب أن نعرف رب ، ويجب أن نعرف المسير ، ويجب أن نقطع من وقتنا الثمين ، ومن زهوة وقتنا ، ومن أفضل أوقاتنا وقتاً نتلوي فيه كتاب الله ، وقتاً نتعلم فيه كتاب الله ، وقتاً نطبق فيه كتاب الله .

عبادة الله تقي الإنسان من إقبال الدنيا و إدبارها :

يا أيها الأخوة الأكارم :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

يا رب هذا الفعل تتقوون أين مفعوله ؟ تتقوون ماذا ؟ لماذا أخفى الهو مفعول هذا الفعل ؟ أيها الأخوة الأكارم ؛ في اللغة العربية إذا أغفل المفعول أطلق الفعل ، تتقوون كل خطر ، تتقوون كل ألم ، تتقوون كل ندم ، تتقوون كل حسرة ، تتقوون كل إحباط ، تتقوون كل خيبة أمل ، تتقوون كل

تمزق ، تتلون كل ضيق ، تتلون أي شيء يزعجكم ، أي شيء يخيب ظنكم، أي شيء يحيط بأعمالكم ، أي شيء يوقعكم في اضطراب داخلي .

### ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢١]

أخفى الله المفعول ، إذا قلنا : تتلون النار فهذا في الآخرة ، أما إذا قلنا : تتلون ، فهذا في الدنيا والآخرة ، في مقتل الحياة وفي منتصفها وفي خريفها ، في حالة الصحة والمرض ، في إقبال الدنيا وإبارها لعلمكم تتلون .

### ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢١]

## إعجاز القرآن الكريم :

من هو ربكم ؟

### ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

هذا إعجاز القرآن الكريم ضمن كل ما في الأرض من سهول ومن ترب خصبية، من أغوار، من جبال شاهقة ، من مستودعات للمياه ، من ثروات باطنية ، من معادن ومن أشباء المعادن ، من غابات ، من نباتات من أزهار ، من أطياف ، من أسماء ، من بحيرات ، من مناظر جميلة ، من ثروات ثمينة ، من بيئه موافقة ، حرارة رطوبة مناخ رياح أمطار سحب.

### ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

كل هذه المعاني ، كل اليسر ، كل الحاجات ، كل ما يحتاجه الإنسان في الأرض، الأرض جعلها الله فرashaً ، وفي آية أخرى جعلها مهاداً ، كيف أنك تمهد للوليد بفراش وثير مريح، وفي آية ثلاثة جعلها ذولاً ، جعلها تأمرها فتطيعك ، لكل شيء له علامة وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أعطاك الأشياء وأعطيك طريقة استعمالها وذلك عليها .

### ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

من أجل أن تطمئنوا ، شحت السماء قليلاً فاضطرب الناس ، هذه التربة تنبت من شأنها أن تنبت، وهذه البذرة من شأنها أن تنبت ، وأن تنبت أضعافاً كثيرة كي تعمل في الزراعة، وهذا الحجر يصمد وهذا الحديد قاس ، وهذا متين ، من أعطى خواص الأشياء ؟ خواص المعادن ؟ خواص المواد ؟ خواص العناصر ؟

### ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

هذا هو ربكم ، أودع في صدر المرأة هذا الحليب .

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدِينَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد : ٨ - ١٠]

في حليب الأم مناعة الأم كلها ، في حليب الأم مادة تمنع التصاق الجراثيم بالأمعاء ، في حليب الأم مادة مطهرة ، في حليب الأم ميزات كثيرة جداً لا تظهر آثار انعدامها إلا في سنوات متاخرة ، قد تقرأ كتاباً من ألفي صفحة ومراجعه خمسمئة مرجع ومصدر كل هذا بالعين التي هي من آيات الله الدالة على عظمته .

### نعم الله عز وجل تعرف الإنسان بربه وتدله على الطريق الصحيح :

يا أيها الأئمة الأكارم ؛ لا بد من جولة في خلق السموات والأرض ، لا بد من وقفة متأنية في خلق الإنسان ، إياكم أن تستهلكوا ، إياكم أن تستهلكم الحياة ، إياكم أن تصبحوا عجلة تدور بلا معنى ، إيانا أن تكون جميعاً نأكل ونشرب وننام ونصحو ويوماً كيوم حتى يأتي الأجل وبضاعتنا من الآخرة زهيدة ، هذه الدار المديدة ماذا أعددنا لها ؟ ماذا أعددنا لساعة اللقاء ؟ ماذا أعددنا لنزول القبر ؟ ماذا أعددنا لمعادرة الدنيا ؟ هل نحن قادمون على حياة أعظم حتى لا نندم على تركها ؟ هذا موضوع خطير ، هذا موضوع مصيري أن يقف الإنسان في رحمة الحياة ، أن يقف الإنسان والعجلة تسير ، أن يقف الإنسان والناس مزدحمون حول الدنيا ، أن يقف ليسأل أين كنت ؟ وإلى أين المصير ؟ وما هي جدوى حياتي ؟

يا أيها الأئمة الأكارم ؛ ربنا يبين هذه الموضوعات للدراسة ، إذا ذكر الله بعض الآيات فهي عونات وليست بعض الموضوعات ، عونات لموضوعات كبيرة .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

أي اعبدوا الذي جعل لكم الأرض فراشاً ، أي مستقرة ، لو أنها مضطربة ، الهواء لطيف لو اشتد الهواء لأصبح مئتا ألف إنسان في عداد القتلى من شدة الهواء ، خمسون ألفاً تحت الأنفاس حينما اضطربت الأرض ، هذه كلها آيات دالة على نعم الله عز وجل .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

البناء الشيء المحكم ، السماء بناء وجعلها سقفاً مرفوعاً محفوظة :

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الحج: ٦٥]

جعلك تطمئن إلى ما تحتك وإلى ما فوقك ، تزيد أن تأكل :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

هذا من فعل الله وحده ، لا نقل : منخفض جوي ، لا نقع في هذه العبارات الجوفاء ، لا تكن أسيير عادات لا معنى لها .

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ النَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾

هذا الذي تأكله رغيف الخبز ، طبق الطعام ، الخضار والفواكه خصيصاً لكم ، خلق لكم ، صمم لكم ، لو أنك جائع جوحاً شديداً ، ورأيت مائدة طيبة وأكلت ألا تسأل : من أطعمني ؟ من صاحب هذه المائدة حتى أقول له شكراً ؟ المرء يقول : اشتريت هذه من المحل كذا بضاعته جيدة ، ودفعت ثمن الفواكه كذا ، وكان الله لا علاقة له بما تأكل وبما تشرب ، أما المؤمن إذا شرب كأس الماء ، وإذا تناول الطعام فدائماً يرى فضل الله عز وجل ، هذا الإيمان رؤية مستمرة لفضل الله ، شعور بأنك مغمور برحمته الله ، إذا رأيت نعم الله عز وجل هو أوجدك ، وهو أدرك ، وهو أرشدك ، وهو أعطاك ، بقي عليك أن تعبده ، أن تسأل عنه ، أن تتعرف عليه ، أن تتعرف إلى أمره ، أن تقول : أين أنا ؟ أين المصير ؟ ألم تسمعوا بالحديث الشريف الذي يقول الله عز وجل فيه : " عبدي - في الساعة التي ينزل فيها بالقبر - رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفونك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت ". ليس لهذا الإنسان إلا الله إلى أبد الآدين ، كيف علاقتك به الآن ؟ هل أنت مقيم على معصيته ؟ هل تبحث عن أمره فتطبقه ؟

عدم الاتجاه إلى غير الله ونسب الفضل إليه :

﴿فَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾

لا نقل : فلان وعلان وزيد وعبد ، وهذا الجهة تسعدني وهذه تؤذني ، وهذه ترفعني وهذه تخفضني ، لا تر مع الله أحداً ، إذا رأيت مع الله أحداً فهذا شرك واضح .

﴿فَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

هذا خلق الله يدل عليه ، وهذا كتابه يدل عليه .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٣]

إذا الدليل على أن هذا القرآن كلام الله هو إعجازه .

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ بِعَضٍ ظَهِيرًا﴾

[سورة الإسراء: ٨٨]

الدليل الأول على أن هذا القرآن كلما تلوته .. وكلما تدبرته .. وكلما وقفت عند آياته .. وكلما وقفت عند إشاراته .. وكلما وجدت الأمر الإلهي .. شموله .. صدقه .. صلاحه لكل زمان

و مكان ، ازدلت يقيناً أن هذا كلام الله ، ولا يعقل أن يكون كلام بشر ، لا يمكن أن يكون هذا الكلام من صنع بشر ، لذلك ربنا عز وجل أشار إلى السموات والأرض .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ النَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

لا تتجه إلى غير الله ، لا تتسب الفضل لغير الله ، لا تعز النعمة إلى غير الله ، لا تر مع الله أحداً فاعلاً في الكون ، لا ترج غير الله ، لا تخاف من غير الله ، لا ترهب من غير الله ، لا تسع إلى غير الله .

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

أن الله هو الخالق .

### المبادرة إلى الأعمال الصالحة :

الله عز وجل نقلنا إلى كتابه قال :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾

[سورة البقرة: ٢٣]

في شك ، في تساؤل لعله كلام محمد ، لعل محمداً عقري الجنان ، لعله كان ذكياً جداً نظم هذا الكتاب وأوهام الناس أنه كلام الله .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُؤْمِنُونَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا وَلَنْ تَفْعُلُوا فَأَتَقُولُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٣-٢٤]

هذا هو المصير ، إن لم تؤمن بآيات الله الكونية ، وإن لم تؤمن بآياته القرآنية ، وإن أنكرت الخالق ، وأنكرت منهجه ، وتحركت على هواك وفق مزاجك ووفق مصالحك ، أين المصير؟ يقول عليه الصلاة والسلام في حديث مخيف : " بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدهم من الدنيا؟" لو أن إنساناً قال : هذا الدين خradi و هذه غبييات ، وأنا أريد أن أكون إنساناً واقعياً علمانياً ، أي هذه الدنيا ما مصيرها ؟

((...هل تنتظرون إلا فقراً منسيًّا ، أو غنى مطغياً ))

[الحاكم عن أبي هريرة]

الغني المطغي إليها الأخوة مصيبة من أكبر المصائب ، أي أن يحملك المال على أن تعصي الواحد الديان ، أن يحملك المال على الغرور ، أن يحملك المال على أن ترى نفسك كبيراً ، أن يحملك المال على أن تتحدى الآخرين ، الله كبير .

## (( هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غني مطغياً ، أو مريضاً مفسداً ))

[الحاكم عن أبي هريرة]

غدة صغيرة لا يزيد حجمها عن حبة العدس يمكن أن تقلب الحياة إلى جحيم ، أنيوب صغير لو سد ، قناة الدمع لو سدت ، أنت بحاجة إلى أن تمسح دموعك بمنديل باستمرار ، لو أن هذه الجفون ارتخت مرض اسمه ارتخاء الجفون لا ترى الشخص إلا إذا أمسكت بجفنيك ورفعتهما ، لو أن شرياناً سد في الدماغ شلل .. جنون .. فقد ذاكرة ، لو أن الكبد تعطل عن وظائفه ثلاثة ساعات تتوقف الحياة ، لو أن الكليتين توقفتا فجأة ، لو أن دسام القلب له وضع غير صحيح ، إلى أين تسير أنت إليها الإنسان ؟ على أي شيء تعتمد ؟ لذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

## (( هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غني مطغياً ، أو مريضاً مفسداً ، أو هرماً مفداً ))

[الحاكم عن أبي هريرة]

ألا ترى الذين نقدم بهم السن ولم يكونوا في شبابهم طائعين كيف أن عمرهم أصبح ثقيلاً على من حولهم ؟ كيف أنهم يردون إلى أرذل العمر ؟ إلى سن الطفولة المتأخرة ؟ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً :

## (( أو هرماً مفداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر خائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر ))

[الحاكم عن أبي هريرة]

عاقبة من لم يتق الله و ينفذ أوامره :

### ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا﴾

هذا الردع ، ما قيمة هذه الدعوة الإلهية من دون الردع وبيان المصير ؟

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا وَلَنْ تَفْعُلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤]

أما إذا فعلتم ، وأما إذا آمنتم بخالقكم وربكم من خلال آياته الكونية ، ودرستم آياته القرآنية وعملتم بها :

﴿وَبِشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّمَا رُزْقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٥]

هذا كلام خالق الكون ، لا يوجد حل وسط إما أن تؤمن به فتسعى بكل طاقتك ، وإما أنت بالدليل على أنه ليس كلام الله ، كن ذا موقف واضح ، هذا الموقف الضبابي ، التردد ، الأمور كلها غير واضحة ، لا .. ليس هذا من شأن المؤمن ، إما أن تؤمن أن هذا كلام الله ، يجب ألا ت تمام الليل

من باب المبالغة طبعاً ، يجب أن تسعى بكل طاقتك لمعرفة خالقك ، لمعرفة منهجه ، للإعداد لساعة اللقاء ، وإن كان عندك الدليل القطعي أن هذا ليس كلامه فائت به .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ﴾

[٢٣] سورة البقرة:

فإن لم تأت بالدليل فعليك أن تسعى بكل طاقتك لمعرفة ربك ، واستغلال هذه الحياة الثمينة لأن العمر ساعة فاجعله طاعة .

**أيها الأخوة المؤمنون ؟ هذه آيات من سورة البقرة دعوة للناس جمِيعاً :**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾

[سورة البقرة: ٢١]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ

[سورة الأنفال : ٢٤]

\* \* \*

### **الخطوة الثانية :**

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

البعوضة و الحوت :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الآية التالية تتاسب موضوعاً مع الخطبة الثانية :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا يَعُوْذَةً﴾

[٢٦- سورة البقرة]

لا أعتقد أن في الأرض كلها مخلوق أهون على الناس من البعوضة ، أي لو أنك قتلت هرقة توقف  
ماذا أفعل كي يسامحني الله عز وجل ؟ لو قتلتها خطأً توقف ، ثم إذا قتلت بعوضة بماذا تشعر ؟  
هل تشعر أنك قتلت نفساً ، يمكن أن تقتل آلاف البعوض وأنت مرتاح الضمير ، لهوانها على  
الناس ، لذلك النبي الكريم قال :

((لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ماء ))

[مسلم وأبو داود عن حابط بن عبد الله]

قال : إن الله خالق الكون لا يستحبّي، أن يضرب لكم مثلاً بعوضة :

مَا بِعُوْضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا

[سورة البقرة: ٢٦]

قال : هذه البعوضة لها ثلاثة قلوب ؛ قلب مركزي ولكل جناح قلب ، هذه البعوضة تملك جهاز ردار بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، الغرفة مظلمة وهناك إنسان نائم على فراش وهي في أعلى السقف تتجه إلى جبينه ، وتملك جهاز تحليل دم ، أخوان ينامان على فراش واحد تتجه إلى

أحد هما دون الآخر ، وجهاز تمبيع للدم ، وجهاز للتخدير ، أربعة أجهزة تملكها البعوضة ، جهاز رادار وجهاز تحليل وجهاز تمبيع وجهاز تخدير ، وجناح البعوضة يرف في الثانية أربعة آلاف رفة إلى درجة الطنين ، قد تمر من جنب أذنك بعوضة تحس بالطنين فقط ، هذا الطنين يعني أربعة آلاف رفة في الثانية .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة: ٢٦]

قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وأربعة آلاف رفة في الثانية ، وجهاز رادار ، وجهاز تحليل ، وجهاز تخدير ، وجهاز تمبيع ، وإذا أرادت أن تقف على سطح أملس زود الله أرجلها بمحاجم تعتمد على تفريغ الهواء ، وإذا أرادت أن تقف على سطح خشن لها مخالب لهذه الأرجل ، تستخدم المخالب أو المحاجم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة: ٢٦]

ليست البعوضة أقل شأنًا من الحوت الأزرق الذي يبلغ وزنه أكثر من مئة وخمسين طناً ، ويستهلك ولديه في الرضعة الواحدة ثلاثة كيلو ، ثلات رضعات تقدر بطن من الحليب يومياً ، وإذا أراد الحوت أن يأكل أكلة متوسطة يملأ بها معدته يحتاج إلى أربعة أطنان من السمك ، هذه وجبة ليست دسمة ، هذا هو الحوت ، ليس خلق البعوضة بأقل من خلق الحوت ، والدليل :

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُتٍ﴾

[سورة نببارك: ٣]

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَذَا﴾

[سورة طه: ٤٩ - ٥٠]

خلق كامل بدءاً من الفيروسات التي لا ترى إلا بالمجاهر الإلكترونية ، وهناك مخلوقات أدق من ذلك ، والجراثيم التي تبعد عنا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية ، ذلكر الله رب العالمين ، من الذرة إلى المجرة نظام واحد ، إيقان واحد ، صنع الله الذي أتقن كل شيء .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[سورة البقرة: ٢٦]

يخشعون ، يزدادون إيماناً ، يزدادون تعظيماً ، يزدادون خشوعاً ، يزدادون انصياعاً لله عزوجل ، يتجدد إيمانهم بهذه الآيات .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٦]

حينما تتبع شهوتك وتتحرف عن أمر الله لن تؤمن ، لأن العقل أصبح في خدمة الشهوة ، يفلسف الشهوة ، يبرر الشهوة ، يبحث عن حجج تغطي انحرافه ، أما إذا استقمت على أمر الله فترى

الحق حقاً ، والدعاء النبوي : " اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه " .

**والحمد لله رب العالمين**